حوار الحضارات ونقد الاستشراق
عند أنور عبد الملك

محمد بعيطيش: طالب دكتوراه/ جامعة الجزائر2 (الجزائر)، [1]
إشراف: د. حمدان بوصالحيح / جامعة زيان عاشور الجلفة

ملخص:

يناقش هذا البحث موضوع حوار الحضارات من منظور المفكر المصري "أنور عبد الملك"، باعتباره واحدا من أهم المفكرين المشتغلين على مسألة العلاقة بين الشرق والغرب، وذلك بالتطرق إلى تحليله لأهم الأسس التي قامت عليها المفاهيم والتصورات الغربية نحو الشرق، بناء على نقده للاستشراق والمركزية الغربية بداية من مقالته الشهيرة "الاستشراق في أزمة" التي أحدثت ضجة كبيرة لدى كثير من المستشرقين و المهتمين بالاستشراق عامة..

كلمات مفتاحية:

الاستشراق، المركزية الغربية، صدام الحضارات، حوار الحضارات.

[1] مخبر الجماليات والفنون والفلسفة المعاصرة

مقدمة

شكّلت علاقة الشرق بالغرب قضية جدلية في الأوساط الفكرية والسياسة العربية والغربية، إذ اختلفت الرؤى حولها باختلاف المرتكزات الثقافية والدينية والظروف السياسية والاقتصادية، فبعد أن كان الحديث أثناء القطبية الثنائية عن "التعايش السلمي"، و"الحرب الباردة"، كتعبير عن حالة الصدام والتأزم بين القطبين منذ الحرب العالمية الثانية حتى تفكك الاتحاد السوفييتي، ظهرت أطروحة "نهاية التاريخ" عند "فرانسيس فوكوياما" مبشّرة بالديمقراطية الليبرالية كشكل غالب على الأنظمة حول العالم مع نهاية الحرب الباردة، ثم جاءت أطروحة "صامويل هنتجنتون" حول "صراع الحضارات" كرد مباشر عليها لتنذر بنمط جديد من الصراع تحركه الاختلافات الثقافية والدينية بدل النزاع القديم بين الإيديولوجيا الرأسمالية والشيوعية، وهو نزاع الغرب مع حضارات محتملة هي الحضارة الإسلامية والصينية، إذ اعتبر الشرق وفي القلب منه العالم الإسلامي مصدر تهديد للغرب ومصالحه.

ووسط المخاوف المتنامية حيال الإيديولوجيات الإقصائية والمقولات الصدامية، تصاعدت الدعوات إلى الحوار كمطلب ضروري لتحقيق السلام في العالم بدل المواجهة والصراع، وقد شهدت هذه الدعوات زخما كبيرا بداية من أطروحة "روجيه جارودي" التي تبناها الكثير من المفكرين والسياسيين، حيث عقدت المؤتمرات والملتقيات الداعية إلى الحوار والتعايش بدل الصدام، منها دعوة الرئيس الإيراني السابق "محمد خاتمي" إلى حوار الحضارات، وتحديد الأمم المتحدة عام 2001م عاما لحوار الحضارات. لكن هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001م، والحرب على أفغانستان، ثم احتلال العراق، أعادت جدل العلاقة بين الغرب والإسلام إلى نقطة البداية، وأثارت السؤال من جديد: هل العلاقة بين الغرب والإسلام، علاقة صراع أم حوار حضاري؟.

ولم تخل الساحة العربية من النقاشات حول هذه المسألة، سواء من قبل السياسيين أو رجال الدين أو المفكرين، ومن بين أهم هؤلاء المفكرين، نجد المفكر المصري "أنور عبد الملك" * الذي قدّم رؤية متكاملة حول الموضوع، وذلك ضمن مشروعه "ريح الشرق" وهو ما سنقف عليه بالدراسة من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما المرتكزات التي تأسست عليها نظرة الغرب للشرق عامة وللعالم الإسلامي خاصة؟
- ما موقف "أنور عبد الملك" من الأطروحات الغربية حول صدام وحوار الحضارات؟

* أنور عبد الملك [1924-2012م] سياسي ومفكر يساري مصري، له العديد من المؤلفات والمقالات، مثل: "ريح الشرق"، "الفكر العربي في معركة النهضة" و "من أجل إستراتيجية حضارية"، " تغيير العالم"...

– وإذا كانت هناك تعددية حضارية و ثقافية في العالم، وإذا كان هناك احتياج للانتقال من الصدام إلى الحوار، فأين تكمن ساحات التلاقي والتكامل؟.

1. الاستشراق، أداة تعرّف أم إرادة استعلاء وسيطرة؟

يعتبر الاستشراق من بين أهم العوامل الناظمة لنظرة الغرب للشرق خلال قرون عديدة، حيث مثل دعامة فكرية بمناهجه وأساليبه المختلفة لفهم ثقافات الشعوب الشرقية وتاريخها، ولقد كان "أنور عبد الملك" من خلال توجهاته الفكرية الحضارية التي برزت في مقالاته ومؤلفاته الممتدة على عقود طويلة سبّاقا في نقد الاستشراق خاصة ضمن مقالته "الاستشراق في أزمة" التي نشرها ضمن مجلة "ديوجين" Diogenes الفرنسية عام 1963م، بسنوات طويلة قبل "إدوارد سعيد"، والتي أثارت جدلا واسعا في دوائر الفكر الغربي وشهدت ردودا حتى من بعض المستشرقين، وقد ربط "أنور عبد الملك" بين الاستشراق وصعود الاستعمار والامبريالية، حيث شكّل الاستشراق في نظره تمهيدا للاستعمار الغربي للشرق من خلال فهم ثقافات الشعوب الشرقية ومن ثمة تحديد الوسائل الناجعة لإخضاعها وفرض السيطرة عليها، وقد قدّم هذه الخدمة فئتان من المستشرقين، الفئة الأولى تشكلت من فلاسفة وعلماء آثار ومتخصصين بالأديان، أما الفئة الثانية فيقول عنها أنها: "خليط من جامعيين و رجال أعمال وعسكريين وموظفي إرساليات ومعلنين ومغامرين (...) أولئك الذين كان هدفهم الوحيد تعرف الأرض المعدة للاحتلال، ولغزو وعي الشعوب، لضمان خدمة القوى الأوربية بشكل أفضل"[2]. ولقد طبع رؤية الاستشراق التقليدي للشرق تجاوزات ومغالطات سواء على مستوى الإشكالية أو على مستوى المنهج، فالمعرفة الاستشراقية تنظر إلى الشرق كآخر مختلف بالجوهر والتكوين، حيث أن الشرق "ذات عقلية" متخلفة جامدة، لا يمكنها بلوغ الحضارة ولا استيعابها، معدومة السيادة، ليس لديها أي استعداد للمبادرة، فلا تصلح إلا أن تكون موضوعا للدراسة[3]، وهذا يفضي إلى مشكلة أخرى وهي النظر إلى الشرق على أنه معطى ثابت وجاهز في التاريخ، يفتقر إلى التطور والتحول، وذلك بهدف تكريس الوضع الراهن وإبعاد الاتهامات التي ترجع وضع الشرق المتخلف إلى الاستعمار، وتعفي الغرب من مسؤولياته وجرائمه تجاه الشرق المتأخر بحكم حقيقته التكوينية التي لا يمكن التخلص منها وباعتبار أنّ التقدم والتأخر سنن ثابتة تلحق بالشرق والغرب لا يمكن فهمها إلا ضمن هذا الوضع الخاص الذي يعتمد على القوانين الطبيعية في حركة التاريخ، وفي ذلك تأكيد لتفوق الغرب كذات دارسة مفارقة ومتعالية تطورت وتتطور عبر التاريخ من العصور اليونانية القديمة .[4]

---

[2] أنور عبد الملك: هل مات الاستشراق؟، مجلة الآداب، العدد 10، لبنان، أكتوبر 1974م، ص 19.

[3] أنور عبد الملك: من أجل إستراتيجية حضارية، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005م، ص 73.

[4] المرجع نفسه، ص 74.

فبعد المؤتمر التاسع والعشرين الدولي للمستشرقين الذي انعقد بباريس عام 1973م في مناسبة مرور مائة عام على بداية عقد مؤتمرات المستشرقين العالمية، والذي خلص إلى أنّ أزمة الاستشراق أزمة سياسية تكمن في تغير علاقات القوى على المستوى الدولي وحركة تحرر الشعوب في آسيا، ومنه ضرورة تغيير اسم جمعية المستشرقين إلى "المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا"[5]، كتب أنور عبد الملك مقالة بعنوان "هل مات الاستشراق؟" متسائلا : "هل يعني ذلك أن مستشرقي الغرب قد أعلنوا موت "الاستشراق"؟ وفي حال الإيجاب، لأي سبب فعلوا ذلك؟". [6]

يجيب "أنور عبد الملك" على هذا التساؤل بأنّ الاستشراق الجديد لا يختلف عن الاستشراق التقليدي، وما هو إلا إشارة عن انتقال مركز القوة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية من فرنسا وبريطانيا، إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي باتت منافسا قويا لأوربا في هذا المجال، وهذا ما أدى إلى تحول اهتمام الدراسات الاستشراقية من الفيلولوجيا إلى دراسات المناطق انطلاقاً من كون الشرق لا يشكل كتلة ساكنة كما كان سائداً في السابق، وإنما هناك تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية تستدعي المواكبة. وبذلك فإن الشرق الذي كان "آخر" مختلفا للغرب لا يمكن إلا أن يكون موضوع دراسة بالنسبة للاستشراق القديم لأهداف استعمارية، تحول بالنسبة إليه إلى ثقافات ولغات ومشكلات "أخرى" وكأنّ الغرب لا يشكل هو نفسه "آخر" بالنسبة للشرق. [7]

ومن هنا فإن الاستشراق الجديد لم يكن إلا محاولة لتحديث أطروحات الاستشراق التقليدي، وهو ما يجعل القول بنهاية الاستشراق في نظر "أنور عبد الملك" قولا غير صائب، فالاستشراق مازال مستمرا في أغراضه ومحتفظا بأهدافه وإن اختلفت التسميات والمناهج، وتغيّر ترتيب المصالح والأولويات.

2. نزعة التمركز الغربي:

يعتقد "أنور عبد الملك" أنّ أزمة العالم المعاصر ليست اقتصادية ولا سياسية، ولكنها أزمة حضارية بالدرجة الأولى، فهناك نمط حضاري أحادي مهيمن منذ القرن الخامس عشر ميلادي، يهيمن فيه الغرب على أفريقيا وآسيا، ويفسّره الغربيون كما رأينا سابقا على أنه أمر طبيعي لا يمثل جديدا، فالنهضة أوربية خالصة، ثم غربية بعد اتساعها لتشمل أمريكا الشمالية في القرن الثامن عشر للميلاد، هذا ما جعل المركز المهيمن يقسّم العالم إلى عالم متقدم وآخر متخلف، يشتمل الأول على عناصر التقدم والقوة، والثاني على عناصر الضعف

[5] مازن مطبقاني: هل انتهى الاستشراق حقا؟ مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد 15،العدد 43، الكويت، 2000م، ص 285.

[6] أنور عبد الملك : هل مات الاستشراق؟، مرجع سابق، ص 18.

[7] المرجع نفسه ص 18.

والتخلف والتفكك، وفي هذه التقسيمات تهميش للعالم الشرقي، أو لكل ما هو ليس غربيا، وتكريس لثنائية المركز والهامش.[8]

ويرى "أنور عبد الملك" أنّ البحث في أسباب هذه الهيمنة الغربية الحالية لابد أن لا يقتصر على ردّها إلى التفوق العسكري الذي ساعد الغرب على فرض هيمنته على الآخر، ولهذا ردّها إلى "فائض القيمة التاريخي" الذي يعني أن الغرب استطاع أن يفرض هيمنته من خلال تراكمية النهب والاستعمار منذ القرن الخامس ميلادي على موجات متتابعة[9]:

الموجة الأولى، تمثّلت في الغزوات والنهب والاختراق والاحتلال، جاءت لتضرب المنطقة العربية الإسلامية اعتبارا من القرن التاسع ميلادي بدءا بالحملات الصليبية وصولا إلى العدوان الحربي الصهيوني الحالي.

أما الموجة الثانية، وهي الأشد فتكا وقمعا من الناحية البشرية حيث عصفت بالقارة الأفريقية، وترتب عنها نزيف بشري تمثل في تجارة الرقيق التي كانت لها انعكاسات وخيمة على أفريقيا وتسببت في أوضاعها المتدهورة لاحقا.

وجاءت الموجة لثالثة لتتسبب في تدمير الحضارات والمجتمعات الهندية في أمريكا الوسطى والجنوبية وإخضاعها للسيطرة الإسبانية والبرتغالية.

أما الموجة الأخيرة فقد وصلت إلى جنوب آسيا وبخاصة شبه القارة الهندية ثم جنوب شرق آسيا وأخيرا شرقها، مما أسهم في ضرب مركزية الشرق وتقويض قوته .[10]

أتاح هذا الفائض التاريخي حسب "أنور عبد الملك" إضافة إلى مساهمة تكنولوجيا الاتصالات في نقل الأفكار والنظريات الغربية من المركز إلى الأطراف، الوسيلة التي تكفل هيمنة الغرب على العالم، وأكّد استحالة التطور إلاّ وفق الأسلوب الذي يقترحه الغرب والمدارس الفكرية هناك[11]، وهذا يشكل تهديدا حضاريا، فبعملية التقليد تنزوي خصوصية المجتمعات والقوميات والثقافات والحضارات، ليس فقط بنقل التكنولوجيا، فهذا أمر مشروع، وإنما بطبع المجتمع الوطني بالطابع الخارجي، أي بطبع مجتمع المركز المهيمن.

---

[8] أنور عبد الملك: تغيير العالم، عالم المعرفة، العدد 95، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985م، ص 11.

[9] أنور عبد الملك: ريح الشرق، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1983م، ص 36.

[10] أنور عبد الملك: تغيير العالم، مرجع سابق، ص 18.

[11] أحمد عبد الحليم عطية: البيوسوسيولوجي، أو أنور عبد الملك وتغيير العالم، مجلة أوراق فلسفية، العدد 37، القاهرة 2013م، ص 323.

3. صدام الحضارات:

يتعرض "أنور عبد الملك" بالتحليل لأطروحة "هنتنجتون" حول "صدام الحضارات" ، فيرى أنّه بدأ من نقطة الصفر في ساحة خلت من أي إسهام سابق، على نمط غير معهود أكّد فيه عناصر الفكر والثقافة والدين كمكونات للحضارة، بنظرة تشاؤمية تقوم على أنّ هذه العوامل لا تقبل حلا وسطا قد ينتجه أي حوار ممكن بخلاف العوامل المادية التي يمكن أن تقبل التسوية، فهذه العوامل الفكرية والثقافية والدينية خاصة باتساع الفجوة الحضارية بين الغرب ودائرتين حضاريتين تتمثلان في الدائرة الحضارية الكونفوشيوسية ممثلة في الصين وشرقي وشمالي وجنوبي آسيا حول الصين، ودائرة الحضارة الإسلامية في آسيا وأفريقيا حول العالم العربي وإيران وتركيا في الشرق الأوسط، تجعل إمكان الصدام قائما مما يشكل تهديدا على الحضارة الغربية.[12]

ورصد "أنور عبد الملك" الصورة التي كانت عليها ردود الفعل تجاه هذه الرؤية، بعد أن تم تهذيبها لاحقا بدعوى إمكان التفاهم بين الحضارات والأديان والانتقال من منطق الصراع إلى منطق الحوار، فيرى أنها انقسمت إلى ثلاث اتجاهات أو آراء، ففي الوقت الذي لاقت فيه ترحيبا وتأييدا في أمريكا وأوربا، وبقيت دائرة الحضارة الصينية "الكونفوشيوسية" بعيدة إلى حد ما من هذا الهم، فإنها واجهت معارضة عند قطاع كبير من المفكرين في الشرق الإسلامي والعربي، فقد استشعر هؤلاء أنّ هذه الأطروحة مؤسسة على أحكام مسبقة على الحضارات والثقافات اللاغربية مما ينذر بعودة الصدام والصراع والحرب.[13]

يعتقد "أنور عبد الملك" أن الأمور تبدلت بعد أن قدّم "هنتجنتون" صورة متكاملة لفكرته في كتابه الذي صدر في نوفمبر من العام 1996م تحت عنوان "صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي"، حيث يرى أنه انتقل من التحذير من المخاطر المتزايدة والمنذرة بالصدام، إلى السخرية من الفروض حول الطابع العالمي للسياسة الأمريكية منذ نهاية القرن التاسع عشر، والإشارة إلى أنّ العقلية الغربية التي تقوم على الإيمان بعالمية الثقافة الغربية تحمل في مضمونها خطر إمكانية قيام حروب كبرى بين الحضارات، كونها تقصي كل ما هو ليس غربي وكأنه دون هوية. وأشار إلى أنّ السياسة العالمية الكوكبية أسهمت تحت تأثير عملية التحديث، في انحسار الأحلاف القائمة على الإيديولوجية والعلاقات بين الدول الكبرى لصالح تكتلات تقوم على الثقافة والدين، مما أدى إلى إعادة الحدود السياسية بين البلدان لتنسجم مع الحدود الثقافية، وهذا يعني أنّ تكتلات ثقافية حلّت محل تكتلات الحرب الباردة. وهذا ينذر في نظره بقيام حروب حول النقاط الفاصلة الجديدة غير المستقرة بين تجمعات مختلف الحضارات، ويرجح أنها ستقوم بين المسلمين وغير المسلمين بالدرجة الأولى. وقد تتحول إلى حرب كونية إذا استمر

[12] أنور عبد الملك: من أجل إستراتيجية حضارية، مرجع سابق، ص 28.

[13] المرجع نفسه ص29.

صعود الصين باعتبارها أكثر اللاعبين في تاريخ الإنسانية، هذه الحرب الكونية تشارك فيها الدول النواة في الحضارات العالمية الرئيسية وهي الولايات المتحدة، وألمانيا، والصين، واليابان، الهند، وروسيا و إندونيسيا ومصر وإيران والبرازيل. و للوقوف أمام هذا التدهور المفزع لابد من أن تكف الدول النواة عن التدخل في الصراعات في الحضارات الأخرى واحترام مناطق النفوذ والعمل على تحقيق وتثبيت الاستقرار في المناطق التي تتداخل فيها الحضارات وذلك من خلال الاعتراف بالحضارات الأخرى وإيجاد أرضية مشتركة لتفادي الحروب. [14]

لقد أدى هذا الطرح إلى موجة غضب واستنكار في مختلف صحف أمريكا والعالم الغربي، لكن الأمر الذي يستغربه "أنور عبد الملك" هو الحملة التي واجهها هذا الطرح في العالم اللاغربي خصوصا في الدائرة العربية على أساس أنّ القول بتعدد الحضارات يبدو كأنه إنكار لعالمية العالم التي تشمل جميع المجتمعات المختلفة التي تعتبر جزءا لا يتجزأ منه. ويرى أن التلاقي بين موجات النقد والمعارضة يأخذنا إلى فهم أكثر عقلانية للمسألة الحضارية في عصرنا الحالي. فمراكز الهيمنة الغربية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية تدرك عمق وأبعاد أزمة المشروع الحضاري الغربي التي تتلخص في أنّ هذه المراكز المهيمنة ترفض تماما وجود مراكز حضارية أخرى في العالم خاصة في العالم اللاغربي قد تجتذب اهتمام وتأييد غالبية شعوب العالم الغربي والدوائر الهامشية، فترفع شعار صدام الحضارات برنامجا لها ينطلق بالأساس من منطق الاحتقار وروح التعالي والعنصرية السياسية وتجعل منه هدفا وبرنامجا سياسيا لها. وفي المقابل فإن العولمة تهدد بتفكيك أركان وجود واستمرارية المجتمعات القومية والثقافات والحضارات المختلفة كجبهة لمقاومة الهيمنة الغربية، وبخاصة دائرتي الشرق الحضاري الرئيسيتين، الدائرة الصينية الكونفوشيوسية الآسيوية والدائرة العربية الإسلامية. [15]

ويتجه الغرب وفق منطق الصدام هذا، إلى مقاومة المراكز الحضارية المغايرة ممثلة في الصين والعالم الإسلامي، إلا أنّه في حين يجد صعوبة في مواجهة التصاعد المتسارع للقوة الصينية اقتصاديا واستراتيجيا وتنمويا، حيث باتت الصين غريما يصعب اختراقه أو محاصرته، فإنّ الدائرة الحضارية الإسلامية بما تحتويه من ثروات باطنية هائلة باتت هي الساحة الأنسب والأسهل لتثبيت هيمنته وفرض سيطرته، وبالتالي اختراق جبهة المقاومة في أضعف حلقاتها ممثلة في الحلقة العربية الإسلامية، ومن ثم الانفراد بمواجه القوة الصينية المعزولة وحصارها في ظل انعدام أي قوة مساندة.

إذن المستهدف بالدرجة الأولى من هذه المواجهة أو الحرب الحضارية حسب "أنور عبد الملك" هو العالم الإسلامي، وراء ستار مواجهة "الإرهاب العالمي"، فهذا الإرهاب يكاد لا يتخذ إلا صورة العالم الإسلامي والعربي،

[14] أنور عبد الملك: من أجل إستراتيجية حضارية، مرجع سابق، ص ص 31-32.

[15] المرجع نفسه ص ص 33-34.

وهو ما تؤكده قوائم البلدان أو الجماعات والحركات التي يدرجها الغرب تحت هذا الوصف كالعراق وإيران وسوريا ولبنان وليبيا والسودان، ثم سلسلة الفلتان اللفظي في حديث سياسيين غربيين عن "الحرب على الإرهاب" منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر: "الحرب الصليبية"، "التفوق الحضاري" ... وما يزيد قناعة المسلمين والعرب بأنهم هم المستهدفون من هذه الحرب هو التصريحات والتحليلات التي يقدمها الكتاب والمفكرون الغرب خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية حول الإرهاب وربطها بالإسلام كتهديد حضاري يتربص بالغرب يجب مواجهته والتصدي له بكل الطرق الممكنة.[16] وهذا في الحقيقة يعبّر عن لحظة انسداد حضاري، ولذلك فإنّ صيحة الصدام ونزعة المغايرة، تجعلنا نتساءل:

هل هناك إمكانية لأن يتم الانتقال منطق الصراع الذي ساد طويلا إلى منطق الحوار؟ وهل دعوات الحوار الحضاري التي بدأت تتعالى خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر يمكن أن تخرج العالم من أزمته، وهل تعتبر بادرة أمل لتحقيق مستقبل أفضل لهذا العالم؟.

4. من حوار الحضارات إلى تلاقي الحضارات:

يؤكد "أنور عبد الملك" على الحوار كسبيل للإقرار بالواقع والانفتاح على الرؤى المختلفة في العالم، لكن أي حوار يستهدفه "أنور عبد الملك"؟.

نجد الإجابة على هذا التساؤل عندما يعرّف "الحوار" بقوله: "الحق أنّ كلمة الحوار تعني أنّ هناك طرفين، أو عدّة أطراف، لها خصوصيات مغايرة أو متباينة أو متضادة صاغها التاريخ الطويل بطرق متباينة من حيث العناصر التكوينية وعلاقتها المتبادلة، والعقائد المعبرة عنها في الوجدان الجماعي- القومي وفي عمق الوجدان الشخصي سواء كان شعوريا أو لا شعوريا، وإن كان هذا الأمر صحيحا فإنّ "الحوار" يعني أنّ كل طرف من الأطراف المعنية يحاول طرح خصوصيته وإقناع الغير بصحة تلك الخصوصية، وإلا فما هو "الحوار"؟ ".[17]

ولهذا فإنّه يبحث عن بعد آخر للحوار، يختلف عن دعوات الحوار القائمة والتي تدعو إلى حوار بين الأديان ممثلا في حوار المسيحية والإسلام، و تجعل من المسيحية المعنية بالحوار هي المسيحية الغربية وبخاصة الكاثوليكية العالمية حول بابا روما والبروتستانتية في شمال أوربا والعالم الأنلجو ساكسوني، فتهمل طبيعة العلاقة بين المسيحية والإسلام في الدول العربية، و تتجاهل الأديان الأخرى خارج الديانات التوحيدية كالبوذية مثلا، فهذا المجال لا يتصل بالمصلحة المباشرة على ما يقدمه من إسهام في تعميق أواصر المحبة والأخوة والصداقة، فالحوار يجب أن

---

[16] أنور عبد الملك: صدام الحضارات متى تحين لحظة الحوار؟، مجلة العربي، الكويت، فبراير 2002م. من http://www.3rbi.info/Article.asp?ID=8414

[17] أنور عبد الملك: من أجل إستراتيجية حضارية، مرجع سابق، ص 223.

يتعدى القوالب والمفاهيم الغربية الجاهزة للحوار، خاصة وأنه في الإمكان تحقيق ما هو أفضل من ذلك، فساحة الحور تتعدى مجال الأديان إلى شكل أكثر واقعية وضرورة ألا وهو مجال الحضارات والثقافات الكبرى في عالم اليوم. ومن خلال هذه الرؤية التي يطرحها "أنور عبد الملك" حول طبيعة الحوار الممكن، يرى "تركي على الربيعو" أنّ "أنور عبد الملك" يدعو إلى حوار حضاري يعترف بالآخر وامتداداته الوجودية، ويعيد طرح المفاهيم من جديد، ليقلب رأسا على عقب، الكثير من التصورات التي سادت نتيجة لهيمنة مراكز القوى العالمية[18]، وهذا ما يعيد صياغة العالم بشكل يعيد إلى الإنسانية الأمل في الحياة على أساس من التنوع الحضاري. وهذا ما يفتح الباب لمساهمة أوسع قطاعات الإنسانية في صياغة هذا العالم الجديد.

الصياغة الجديدة للعالم تتجاوز نظام القطب الواحد الذي يؤكد هيمنة المركز الواحد ممثلا في الولايات المتحدة وحلفاءها، وترفض العودة إلى نظام القطبية الثنائية الذي ساد خلال النصف الثاني من القرن العشرين والذي بقوم على منطق القوة والصراع بين الحضارتين الإيديولوجيتين، لتؤسس لعالم متعدد الأقطاب، يتكون من عدة مشروعات حضارية تتحرك في إطارها مختلف الديانات، بعيدا عن الهيمنة الغربية والقهر وتفتيت الخصوصيات، وتسهم في تكوين هذه المشروعات الحضارية ثلاث مكونات رئيسية هي[19]:

– الأقطاب أو الأمم الكبرى: باعتبار أن الأمة هي المجتمع المتكامل الذي أثبت قدرته على الاستمرارية عبر التاريخ، ويملك أفراده خصوصية ثقافية ترتقي إلى مستوى الرؤية العامة للعالم من حولهم.

– المراكز أو التجمعات الإقليمية: وهي الوسيلة التي تساعد على مواجهة تحديات العولمة وتأثيرات نظام القطب الواحد، وتقوم هذه التجمعات الإقليمية إما على المصالح المادية المشتركة كالاتحاد الأوربي مثلا، أو على الجمع بين المصالح المادية والجيو– ثقافية مثل الدائرة الأورو– متوسطية.

– التجمعات الثقافية: فهي تأخذ مساحة هائلة عبر القارات، وتشكل فيها الأديان دورا رئيسا لأنها تؤثر على وجدان الشعوب والمجتمعات.

وبناء على هذه المكونات يرفض التقسيمات التي تهمش العالم الشرقي ويؤكد على أنّه لا يقل أهمية عن العلم الغربي الأوربي، ويقدم تقسيما جديدا للعالم يضم إضافة إلى الدائرة الحضارية الغربية، دائرتين رئيسيتين تشكلان الشرق الحضاري، وهما دائرة الحضارة الصينية في آسيا حول الصين، وتتسم هذه الدائرة بعدم وجود دين جامع واحد، سواء كان توحيديا أو غير ذلك، وإنما يمكن القول أنها تتجمع حول منظومة فلسفية هي

[18] جميل أبو العباس زكير بكري: أنور عبد الملك ومستقبل النظام العالمي الجديد، مجلة أوراق فلسفية، العدد 37، القاهرة 2013م، ص 349.

[19] أنور عبد الملك: من أجل إستراتيجية حضارية، مرجع سابق، ص ص 48–50.

"الكونفوشيوسية" بالخصوص وإلى جانبها قطاع واسع من البوذية على تنوعها. ودائرة الحضارة الإسلامية في آسيا وأفريقيا حول مركزها التاريخي السني والشيعي في الأمة العربية وإيران وامتداداتها إلى أفريقيا وقطاعات من أوربا. هذا إضافة إلى الدائرة الحضارية التي تضم أجزاء من المنطقة الثقافية الهندية- الأوربية في أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي. وعلى أساس هذا التقسيم الجديد الذي يقترحه "أنور عبد الملك"، يرى أنّه من الأفضل أن تتمركز الجهود حول التكامل الحضاري، أي تكامل الحضارات والأديان والثقافات والخصوصيات القومية من أجل السلام والتطور والتكامل والوئام، ولا يجد مانعا في أن يستمر الحوار في بعض القطاعات[20]، ولهذا فهو يشير إلى بعض المحاولات المتقدمة في مجال الدعوة إلى حوار الحضارات عند بعض المفكرين مثل "روجيه غارودي"، و عالم الحضارات الموسوعي "جوزيف نيدهام" الذي خصّص له فصلا كاملا في كتابه "الجدلية الاجتماعية" باعتباره أحد الأصوات الغربية البارزة الداعية إلى الحوار مع الشرق والاعتراف به كممثل لقطاعات واسعة من البشرية[21]، لكنه يبدي ملاحظته حول هذه المبادرات والدعوات، فيركز على عاملين يعتبرهما غاية في الأهمية وهما:

أولا، أنّ الحوار يجب أن يبتعد عن محاولة التبشير بأنماطنا الثقافية ويرتقي إلى مجال آخر هو مجال تلاقي الحضارات على أهم القيم والسلوكيات والمعايير والرؤى قبولا في المعاملات الإنسانية والاجتماعية، بناء على الموروث الإنساني عبر مسيرة الإنسان الطويلة، وهذا أمر ممكن في نظر "أنور عبد الملك" ليس فقط على أيدي رجال الدين والفكر وإنما أيضا على أيدي رجال السياسة والاقتصاد ومختلف الفاعلين في المجتمعات البشرية. [22]

وبناء على هذا التصور نجد "أنور عبد الملك" يبدي رأيه في أفق الحوار بين الغرب والإسلام باعتباره دائرة حضارية رئيسية من دوائر الشرق الحضاري، فيدعو إلى استثمار نقاط التلاقي الممكنة بينها، ويحددها في[23]:

- الجذور التاريخية المشتركة، فاليونان القديمة كامتداد تاريخي لأوربا هي وريثة الحضارة الفرعونية في كثير من القطاعات والمعاني، بينما استمدت روما قوتها المركزية من التفاعل بين مكونات البحر المتوسط المختلفة.

- الديانات التوحيدية الثلاث كلها شرقية النشأة ثم انتشرت في أوربا وأمريكا.

- ميدان المعاملات والمصالح والقيم المشتركة يمكن أن يشكل بديلا للنظرة الغربية لعالمنا الإسلامي المؤسسة على المغايرة والمنافسة، وفي أحيان كثيرة على العداء.

---

[20] أنور عبد الملك: من أجل إستراتيجية حضارية، مرجع سابق، ص ص 228-229.

[21] أنور عبد الملك: الجدلية الاجتماعية، د ط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ص ص 493-507.

[22] أنور عبد الملك: من أجل إستراتيجية حضارية، مرجع سابق، ص 230.

[23] أنور عبد الملك: صدام الحضارات متى تحين لحظة الحوار؟ ، مرجع سابق.

– التركيز في الحوار الحضاري على القوى الإيجابية في الغرب، والتي تتشكل من الطلائع الجديدة من صحوة المسيحية خاصة الكاثوليكية بدءا من تجديدها على يد البابا يوحنا الثالث والعشرين، وانطلاق هيئة اليسوعيين (الجزويت) إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتحرير الشعوب كما حدث في لاهوت التحرر في أمريكا اللاتينية.

– الالتفات إلى ساحة القوى الاشتراكية الأوربية بعد نجاح عمليات التجديد والعصرنة منذ 1991م، خاصة وأنها تبدي موقفا ضد موجة العداء الأمريكي الصهيوني، وتدعو إلى التفاهم والدعم والتحالف مع الشعوب العربية خاصة والإسلامية بوجه عام.

ثانيا، أننا إذ نرحب بالحوار ونرفع شعار تلاقي الحضارات، لابد لنا من تأكيد الخصوصية الذاتية لأمتنا العربية الإسلامية، والتمكين لأصالتها، وذلك بإزالة الوهم المتأصل في عقول العديد من المفكرين العرب بأنه لا خلاص لنا إلى بإتباع الغرب ولا تطور إلا بمواكبة الفكر الغربي.[24] كما يجب أن نعزز كمنتمين لدائرة الحضارة الإسلامية أواصر المحبة والتعارف والتحالف مع شعوب الدائرة الحضارية الكبرى التي ننتمي إليها وهي دائرة الشرق الحضاري الناهض في آسيا وأفريقيا، وهو مسعى بدأت ملامحه منذ مؤتمر باندونج 1955م الذي جمع الدول الآفرو– آسيوية وبدور رائد لمصر الناصرية باعتبارها الأمة المركزية في قلب الأمة العربية ونواة الحضارة الإسلامية الآسيوية الأفريقية.[25]

هكذا يكون "أنور عبد الملك" قد شخّص الأزمة التي تقود إلى اليأس والإحباط لدى قطاعات واسعة من هذا العالم، و تقف حائلا دون استغلال الإمكانات الهائلة لصياغة عالم جديد يحركه منطق الحوار الفعال والتلاقي الحضاري بين دوائره الحضارية الكبرى في الشرق والغرب، وهي أزمة اعتراف بالآخر، وإيمان بالخصوصية الذاتية، وهذا ما يحتاجه العالم اليوم، فيشخصه في عبارة جامعة حين يقول: ""الاعتراف بالغير" هو الشعار الذي يحتاج إليه الغرب إن أراد أن يظل فاعلا في مستقبل تاريخ البشرية. أما ثقافات ومجتمعات ودول وشعوب الشرق الحضاري على اتساعه — العالم الثالث– فإنها تحتاج في المقام الأول وبشكل متصل أن ترفع شعار "الاعتراف بالذات" ... كشرط لا غنى عنه للتعامل مع "الآخر" كل الآخرين، بشكل ذكي فاعل دون تهاون ولا استفزاز. وفي كلمة الاعتراف بالذات وتأكيد خصوصية الذات والقوة الذاتية هو السبيل القويم الأوحد لعلاقات سلام، ليس

[24] أنور عبد الملك: من أجل إستراتيجية حضارية، مرجع سابق، ص 26.

[25] المرجع نفسه ص 231.

فقط من أجل عالم أفضل، ولكن في سبيل عالم جديد بكل معاني الكلمة، متعدد الأقطاب والمراكز والثقافات، بعد تغييب دام أربعة قرون مضت ولن تعود". [26]

خاتمة:

لقد ركز "أنور عبد الملك" في حديثه عن حوار الحضارات على موضوع الاستشراق والمركزية الغربية ليفضح النوايا الكامنة في الخطاب الغربي تجاه الشرق والعالم الإسلامي، والتي تنزع إلى الهيمنة و يغلب عليها التحيّز وإقصاء الآخر، وهذا كله من أجل تقديم رؤية بديلة تتأسس على التعددية الحضارية، وتردم الهوة بين الشرق والغرب لتحقيق تفاعل إيجابي بين مختلف المشروعات الحضارية الكبرى في العالم حول نقاط التلاقي الممكنة بدل الصراع والصدام، ومنه فإن أطروحة أنور عبد الملك للخروج من الأزمة الحضارية التي يشهدها العالم ترتكز على ثلاث مقومات أساسية هي: الاقتناع بالحوار بدل الصدام، الاعتراف بالتعددية، والإيمان بالخصوصية الحضارية لكل أمة.

[26] أنور عبد الملك: الوطنية هي الحل، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2007م، ص 619.

قائمة المراجع

- أحمد عبد الحليم عطية: البيوسوسيولوجي، أو أنور عبد الملك وتغيير العالم، مجلة أوراق فلسفية، العدد 37، القاهرة 2013م.
- أنور عبد الملك: الجدلية الاجتماعية، د ط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م.
- أنور عبد الملك: الوطنية هي الحل، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2007م.
- أنور عبد الملك: تغيير العالم، عالم المعرفة، العدد 95، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985م.
- أنور عبد الملك: ريح الشرق، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1983م.
- أنور عبد الملك: صدام الحضارات متى تحين لحظة الحوار؟، مجلة العربي، الكويت، فبراير 2002م. من http://www.3rbi.info/Article.asp?ID=8414
- أنور عبد الملك: من أجل إستراتيجية حضارية، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005م.
- أنور عبد الملك: هل مات الاستشراق؟، مجلة الآداب، العدد 10، لبنان، أكتوبر 1974م.
- جميل أبو العباس زكير بكري: أنور عبد الملك ومستقبل النظام العالمي الجديد، مجلة أوراق فلسفية، العدد 37، القاهرة 2013م.
- مازن مطبقاني: هل انتهى الاستشراق حقا؟ مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد 15،العدد 43، الكويت، 2000م.